فكاهات

شرلوك هولمز[1]

جرأنا القرآء باستحسانهم سلسلة روايات الكولونيل جيرار على نشر مثل تلك السلسلة وقد اخترنا لذلك روايات من وضع المؤلف الشهير والكاتب البليغ والروائي الذائع الصيت السير كونان دويل في وصفهِ اعمال شرلوك هولمز وقد جسد فيهِ مهارة وذكآء رجال الشحنة في كشفهم المخبآت وتخليصهم الحقائق مهما حال دونها من العقبات . ومما يدل على شهرة تلك الروايات انهـا ترجمت الى لغات عديدة ووُضعت في قالب تمثيلي ولا تزال تمثل في انكلترا واميركا وقد كافأت الحكومة الانكليزية كاتبها المذكور بلقب سير ايذاناً بفضلهِ

ولا بد لنا من تعريف بطل الرواية وذكر وصفهِ وحالتهِ مرة واحدة ليسهل فهم وتناول الروايات المتعلقة بهِ . فالرجل يدعى شرلوك هولمز وهو طويل القامة واسع الجبهة طويل الانف مستطيل الوجه حادّ النظر لهُ منكبان عريضان وصدر متسع مولع بالتدخين . اما صفاتهُ العقلية فانهُ رجل لا يعرف للخوف معنًى حادّ الذهن سريع الادراك شديد الاقدام لا يثنيهِ شيء عن ادراك غايتهِ . وكان شغلهُ كشف مخبآت الجرائم وحل معضلات الاسرار لحسابهِ الخاص واشتهر امرهُ حتى صار يرجع اليهِ رجال الشحنة السرية في كثير من امورهم ويستفتونهُ في ما يستبهم عليهم من الامور . واستصحب شرلوك هولمز رجلاً طيباً يدعى وطسن كان يرافقهُ في جميع اعمالهِ ويساعدهُ في قضآء المهمات وكان وطسن كاتباً فجعل يدوّن ما يتفق لهما من الاعمال وهو يعجب بمهارة رفيقهِ شرلوك وقد تمكنت بينهما روابط الوداد . فحدث انهُ وُجد في بلاد الانكليز عصبة اشقيآء لم يرق لهم وقوف

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

شرلوك بالمرصاد فعملوا على قتلهِ . واتفق يوماً ان ذهب شرلوك الى جهات سويسرا لتبديل الهوآء وقابلهُ رئيس تلك العصابة واسمهُ موريارتي فاضمر كلٌّ منهما الانتقام من الآخر وتقابلا على منحدرٍ عالٍ في اواسط تلك الجبال وتحتهما وادٍ عميق في سفحهِ نهر جارٍ فتعاركا وتقاتلا وآخر ما عُرف عنهما انهما سقطا في تلك الهوة العميقة فتهشما وكان آخر العهد بهما . ولما بلغ ذلك وطسن حزن على رفيقهِ حزناً شديداً وقضى ايامهُ بعد ذلك في العزلة والانفراد يكتب ما يعن لهُ عن رواياتهما الغريبة . وقد كتب التاريخ الآتي عن نفسهِ قال

شرلوك هولمز

— ١ —

البيت المهجور

ضجَّت مدينة لندن في ربيع سنة ١٨٩٤ لخبر مقتل الشريف رونالد أدير ولا سيما لان هيئة القتل كانت عجيبةً سرية فلم يبلغ الجرائد منها الا ما ذكر في دائرة المحاكم وبقي من تلك الاسرار شيءٌ كثير تحت ستار الاهمال لانهُ لم يلزم لمحاكمة المتهم . وكنت بعد معاشرتي اليف صباي شرلوك هولمز قد نشأ عندي ميلٌ شديد الى البحث في مثل تلك الحوادث فتتبعت خبر القتل الى ان وقفت على تفاصيلهِ في ذلك الوقت ولكني لم اكن حرًّا في نشرها اما الآن فقد أُطلق قيد لساني ولذلك اقص حديثاً في منتهى الغرابة ولا سيما للنتيجة الفائقة التصور التي وصلت اليها والتي لا ازال اشعر بارتعاش جسمي كلما تفكرت فيها

قلت انني بعد فقد صديقي شرلوك هولمز انقطعت الى حياة الانفراد وكان قد تولد فيَّ الميل الى تتبع حوادث الجنايات واعمال الشحنة وكنت بعض الاحيان استعمل الخطة التي رسمها لي صديقي على امل ان اتوفق مثلهُ الى كشف القناع عن بعض المبهمات التي لم يقوَ الغير على كشفها . فلما قُتل رونالد ادير وقرأت ذلك في الجرائد وجدت في الامر سرًّا شاقني حلهُ وشعرت بالخسارة الفادحة التي المَّت برجال الشحنة بعد فقد شرلوك المذكور

وكان القتيل رونالد ادير ابن الارل مينوث حاكم احدى المستعمرات الاسترالية وكانت زوجة الارل قد اصيبت بمرض في عينيها فجآءت انكلترا للاستشفآء منهُ واحضرت معها ابنها المذكور رونالد وابنتها هيلدا فسكنوا في شارع شهير من شوارع لندن . اما رونالد فكان لا يعاشر الا نخبة القوم ولم يكن لهُ عدوٌّ لان كل صفاتهِ كانت مستحسنة وكان شريف الطبع جميل المسلك لطيفاً مسالماً محبوباً عند الجميع . غير ان تلك الصفات الحسنة لم تعصمهُ من تجرع كاس المنون على غير انتظار فقضى مقتولاً بين الساعة العاشرة والحادية عشرة من ليل ٣٠ مارس سنة ١٨٩٤

وكان رونالد يتردد في اوقات الفراغ على بعض المنتديات فيصرف اوقاتهُ بلعب الورق ولكنهُ لم يكن مولعاً بهِ قط وشهد الكثيرون من اعضآء تلك المنتديات انهُ كان يلعب للتسلية فقط وانهُ كان شديد التحذر فاذا خسر لا يخسر الا مبلغاً زهيداً لا يزيد على اربع او خمس ليرات مما لا يؤثر في ثروتهِ الطائلة وانهُ كان اغلب الاحيان يقوم عن مائدة اللعب بربح يعادل تلك القيمة الا مرةً واحدة لعب فيها بشركة رجلٍ يدعى الكولونيل موران فربحا ربحاً عظيماً اصاب رونالد منهُ اربع مئة وعشرين ليرة استرلينية

وعاد رونالد الى البيت في مسآء مصرعهِ من المنتدى عند الساعة العاشرة وكانت امهُ وشقيقتهُ قد خرجتا لعيادة بعض الاصحاب وعُرف بعد ذلك من خادمتهِ انها سمعتهُ قد دخل غرفتهُ وكانت قد اعدت فيها ناراً وتركت نافذتها مفتوحة فلم تعد تسمع صوتاً الى ما بعد الساعة الحادية عشرة عند رجوع اللادي مينوث وابنتها . وكان من عادة الام ان تدخل فتقبل ابنها قبل النوم فلما ذهبت الى غرفتهِ وجدت الباب مقفلاً من الداخل فقرعتهُ شديداً بدون فائدة ثم استدعت الخدم فكسروا الباب فوجدوا ذلك المسكين ملقى على الارض وقد شُجَّ رأسهُ من حيث خرجت رصاصة المسدس . ولما بحثوا في الغرفة لم يجدوا فيها سلاحاً البتة بل كان على المائدة ورقتا بنك قيمة كل منهما عشر ليرات والى جانبهما قيمة سبع عشرة

ليرة ونصف من النقود الذهبية والفضية مرصوصة بكميات مختلفة القيمة وامام ذلك مذكرة عليها اسمآء رفاقهِ في اللعب وبعض الارقام مما دلّ لاول وهلة ان رونالد كان يحسب ارباحهُ وخسائرهُ قبل حصول تلك الفاجعة

ولم يكن بحث الشحنة وتدقيقهم بعد زيارتهم تلك الغرفة الا ليزيد سر القتل غموضاً فانهم وجدوا ان الباب كان مقفلاً من الداخل ولم يكن من سبب يوجب اقفالهُ الا ان يكون القاتل قد فعل ذلك ليمنع دخول احد قبل هربهِ . وانهُ لم يكن للقاتل منفذٌ يهرب منهُ الا نافذة الغرفة وهي تعلو عن الارض نحو عشرين قدماً وتحتها في ارض الحديقة نباتات من الورود والرياحين لم يظهر فيها اثر اقدام ولم يكسر شيء من اغصانها وزهورها فثبت اذاً ان القاتل لم يخرج من هنالك . وعلى فرض ان القاتل اطلق عيارهُ عن بعدٍ فلا بد انهُ كان على مسافة لا يستطيع احدٌ اصابة غرضهِ منها فضلاً عن ان النافذة المذكورة متجهة الى شارع مطروق فيهِ موقف للعربات ولدى الفحص الدقيق لم يذكر احدٌ هنالك انهُ سمع طلقاً ناريًّا او رأى من يرتاب بهِ في تلك الفاجعة . وجملة الامر ان القتل حصل حقيقةً ولكن سببهُ لم يمكن الوصول الى معرفتهِ ولا سيما وقد ثبت انهُ لم يكن لرونالد المذكور عدوٌّ ولا خصم ولا من يرغب في اذيتهِ

اما انا فبقيت يومي اردد تلك الامور في خاطري واجتهد في تعليلها فلم ازدد الا اعتقاداً بوجود سرٍّ عظيم يتعلق بمقتل ذلك الفتى وزادت بي الهواجس حتى خرجت على غير هدًى وتوجهت الى البيت الذي حصل فيهِ القتل لعلي ارى في فحص الطريق والحديقة والنافذة ما يسهل لي التكهن على كيفية حدوث الجريمة . ولما بلغت منتهى الشارع الموصل الى المكان المذكور وجدت جمهوراً واقفاً ينظر الى النافذة مصغياً الى حديث رجل طويل القامة ظننتهُ لاول وهلة من الشحنة السريين ولكنني ما سمعت حديثهُ حتى علمت ان فكري في غير محلهِ فرجعت الى استتمام فحصي وفيما حوّلت ظهري صدمت رجلاً احدب الظهر يحمل كمية من الكتب القديمة فوقعت كتبهُ وتبعثرت على الارض . ولا انسى ما شعرت بهِ لدى

مشاهدة ذلك الرجل المسكين فاسرعت الى مساعدتهِ في جمع كتبهِ والاعتذار اليهِ . اما هو فما صدَّق ان حمل كتبهُ حتى ادار ظهرهُ واختفى بين الجموع . وعدت الى فحص الجهة فوجدت ان البيت ضمن حديقة فسيحة يحيط بها جدار مرتفع لا يتعذر تسلقهُ وانما يتعذر الوصول الى النافذة لارتفاعها وعدم وجود ما يسهل التسلق اليها. ولم تجدِ ني ابحاثي نفعاً فعدت الى غرفتي وانا اشدّ حيرةً مما كنت سابقاً فلم يستقرّ بي الجلوس الى مكتبتي حتى دخلت الخادمة واعلمتني ان بالباب رجلاً يروم مقابلتي . وقبل ان آذن لها في ادخالهِ كان الرجل قد صار في وسط الغرفة وزاد تعجبي عندما رايت انهُ هو نفس حامل الكتب الذي ذكرتهُ . ولما خرجت الخادمة واغلقت الباب تفرست فيهِ فوجدتهُ شيخاً ذا لحيةٍ بيضاء يحمل ما لا يقل عن العشرين مجلداً . وبعد ان حيّا قال اظنك استغربت دخولي عليك يا مولاي . قلت نعم ولا انكر ذلك العلهُ لم يكفك اعتذاري اليك . قال كلا بل انني رايتك داخلاً الى هـذا البيت فعلمت انك جارٌ لي واحببت ان اتعرف بك واشكرك على اهتمامك في جمع كتبي التي سقطت مني الى الارض ولاعلمك انني كتبيٌّ في آخر هذا الشارع وارى على مكتبتك بعض المجلدات القديمة مما يدل انك تحب قراءة مثل هذه الاوراق فاذا شئت فانك ترى محلي مستعدًّا في كل دقيقة لقبولك . وفضلاً عن ذلك فاني ارى الآن هذه المجلدات الضخمة قد علاها الغبار فاذا اذنت لي اجيء يوماً لانظفها لك وارتبها في اماكنها . فادرت وجهي لارى الكتب التي يشير اليها ولما اعدت نظري وجدت امامي شرلوك هولمز بنفسهِ . فوثبت عن الكرسي وبقيت مدة جاحظ العينين فاغر الفم ثم سقطت غائباً عن الوجود وقد مرت امام عينيَّ ضبابة كثيفة اعمت بصري . ولما افقت وجدت نفسي ملقى على سريري وقد حلت ازرار ثوبي ووقف شرلوك الى جانبي يجرعني شيئاً من زجاجة كانت بيدهِ . فقال العفو يا عزيزي وطسن فانهُ لم يخطر ببالي قط ان حضوري سيؤثر فيك الى هذا الحد . فاخذت بيدهِ وقلت آه يا عزيزي هولمز وهل انت حقيقةً امامي ام ان روحك قد جاءت تعودني . ولما شعرت بجسمهِ وتاكد لي وجود شخصهِ حقيقةً قلت اخبرني

بربك كيف عدت من بين الاموات وكيف رجعت من تلك الهوة التي سقطت فيها . فتبسم ثم جلس بازآئي واشعل لفافة حسب عادتهِ وكان قد نزع الشعر الابيض الذي كان متستراً بهِ والقى كتبهُ الى الارض فمدّ رجليه وقال اني قد اضطررت الى التنكر بالزي الذي رايتني فيهِ لاسبابٍ اذكرها لك وقد تعبت كثيراً من تقصير قامتي فانا سعيد الآن لتمتعي بالراحة . اما سؤالك عن عودتي من تلك الهوة فانني لم اقع فيها قط ولكن حين قابلت موريارتي اللعين في ذلك الموضع قرأت في عينيهِ انهُ يودّ الانتقام مني غير اني لبثت سائراً في طريقي فتبعني وما سرنا كثيراً حتى بلغنا اضيق مسلك على ذلك المنحدر وشعرت بيدي موريارتي قد قبضتا عليّ . وكان ما تعلمتهُ من المصارعة اثنآء سياحتي في اليابان قد افادني كثيراً فتملصت منهُ ودفعتهُ بعنفٍ فهوى الى المنحدر وقد رأيتهُ ساقطاً حتى التطم بصخر بارز هشمهُ تهشيماً ثم اندفع عنهُ الى اسفل وغاصت جثتهُ في المياه . اما انا فوقفت لحظة اعجب من حسن حظي وعلمت ان موريارتي لم يكن وحدهُ العدو المخيف الذي اقسم على اهلاكي بل ان رفاقهُ سيزيد حنقهم وطلبهم للانتقام بعد موت رئيسهم فوجدت الافضل ان اشهر موتي ليتحقق ذلك كل احد فيكفّ اعدآئي عن طلبي واكون اذ ذاك في سعةٍ لابحث عنهم واتخلص منهم وبعد ذلك اعود الى عالم الاحيآء واعيش مطمئنًّا . وقد قرأت بعد ذلك ما كتبتهُ في الجرائد عن موتي ووصفك ذلك المنحدر المخيف فضحكت كثيراً على تأبينك صديقاً لا يزال حيًّا يرزق . وكان للمنحدر نُقَرٌ صغيرة تكفي لوضع القدم فعزمت ان اتسلقها واجد لي طريقاً منها كي لا يبدو اثر اقدامي على الطريق التي جئنا منها وبذلك أؤكد للجميع انني سقطت مع موريارتي الى الهوة . فاخذت في التسلق مستعيناً بتلك النقر ولا انكر انني اقدمت بذلك على خطر جسيم لانهُ لو زلت قدمي للحقت بموريارتي بدون شك . ولكن ابى القدر الا ان يحرس حياتي فوصلت الى شبه كهف في منتصف المنحدر جلست فيهِ ريثما استريح . ولما اتيتم مع رجال الشحنة لاقتفآء اثري وفحصتم الطريق ومحل الحادثة وقررتم انني سقطت مع موريارتي وانا هلكنا معاً كنت اسمع كلامكم

واضحاك . فلما ابتعدتم وكنت قد اخذت شيئاً من الراحة عزمت على اتمام المسير ولكنني ما كدت اخطو في ذلك العلو الشاهق خطوتي الاولى حتى سمعت صوتاً غريباً ورأيت صخراً كبيراً يتدحرج فوقي فمرّ بجانبي ولو اصابني لسقطت واياهُ الى الحضيض . فلبثت دقيقتين كانني على صفيحة كهربائية ثم جعلت اعجب من سبب سقوط ذلك الصخر واذا بصخر آخر اكبر من الاول يتدحرج بعدهُ . فتحققت اذ ذاك ان واحداً من عصابة موريارتي كان مراقباً حركاتنا من البداءة وانهُ لم يجسر على مقابلتي وجهاً لوجه فصعد الى قمة المنحدر وجعل يدحرج تلك الصخور لتصيبني وتدفعني بنزولها الى الهلاك المحتم . ورأيت بأسرع من لمح البصر شبح ذلك الشخص واقفاً و بين يديهِ صخرٌ آخر فعلمت انني هالك لا محالة ولكن النفس عزيزة والانسان بين ويلين يختار اسهلهما فاسرعت بتسلق النقر الباقية لي وبلغت شبه طريق للمعزى جعلت اسير فيهِ بمنتهى قوتي الباقية مسافة نحو عشرة اميال . وكان الظلام قد سدل جلبابهُ فاخفاني واستعنت بهِ على تغيير خطة مسيري . و بعد سبعة ايام من تلك الحادثة بلغت فلورنسا وانا واثقٌ انهُ لا يعلم بي احد وان العالم باسرهِ سيتحقق انقطاعي من بين الاحياء

ولست انكر ايها العزيز وطسن انني قد اسأت في عدم كتابتي اليك وابلاغك الحقيقة ولكنني اضطررت الى الاختفاء ولو فعلت ذلك لما امكنك ان تكتب ما كتبت مما يؤيد خبر موتي ويمنع اعدائي من متابعتي . وكان يخطر لي كثيراً في مدة هذه الثلاث السنوات ان اكتب اليك مدفوعاً بعامل الشوق ولكنني خفت ان يؤثر فيك الفرح فيدفعك الى كشف امري قبل ان يتم مقصدي . ولذلك ايضاً ابتعدت عنك اليوم حين صدمتني واوقعت كتبي لانني كنت لا ازال في خطر ولو ظهر منك اقل حركة تدل على معرفتي لهلكت لا محالة . ولذلك كتمت سر وجودي عن كل مخلوق الا عن اخي ميكروفت لانني لم اجد بدًّا من تسليم سري اليهِ لآخذ منهُ ما يلزمني من النفقة . وكنت اراقب من مخبإي ما يجري في لندن وعلمت ان الحكومة تأثرت عصابة موريارتي وكفت الناس شرهم ولكنها

غفلت عن اثنين منهم من اكبر اعدآئي واشدهم غائلةً فشاغلت نفسي بالسياحة مدة سنتين زرت فيهما الصين والعجم ومصر وكتبت مقالات نشرت في جرائد انكلترا تحت اسم مستعار وعدت الى فرنسا فجعلت اشتغل بالكيمياء الى ان بلغني من عهد قريب خبر وفاة احد العدوَّين ثم بلغني ايضاً خبر مقتل رونالد المسكين فاسرعت بالمجيء مدفوعاً بما لهذا القتل من الغرابة و باسباب اخرى شخصية . ولما وصلت الى بيتي ودخلت غرفتي وجدتها كما تركتها تماماً وكان اخي قد ابقى كل شيء على ما كان عليهِ فلما رأتني الخادمة كادت تجن فوكلت اخي بها وجلست الى كرسيي القديم لا ينقصني الا ان يكون عزيزي وطسن كعادتهِ بازآئي

وكنت اسمع حديث صديقي شرلوك وانا بين الدهش والسرور وقد جعلت لا احول نظري عنهُ . ثم قال لي انني قضيت ثلاث سنوات بدون عمل فانا اشعر بتعب الكسل وامامنا الليلة عمل عظيم كبير الاهمية ولا اظنك تتأخر عن مرافقتي كالعادة . فاظهرت لهُ رغبتي في عدم مفارقتي لهُ بعد تلك الدقيقة وسألتهُ عن العمل الذي ينويهِ فقال متى حان اجل الافشآء أفشيت اما الآن فاتبعني صامتاً

و بعد ان استرحنا ساعة ركبنا عربةً وكنت ارى في وجهه علامات الاهتمام الشديد فظهرت لي خطورة ما ينويه ولم افه ببنت شفةٍ وكان يأمر السائق بالانتقال بنا من شارع الى آخر وهو يحترس ان لا يراهُ احد . و بلغنا نقطة استوقف فيها العربة وسرنا ماشيين بين اخربة وازقة ثم في منعطفٍ ضيق انتهى بنا الى باب خشبي دفعهُ شرلوك بلطف وولجناهُ ثم رقينا سلماً في اعلاهُ باب آخر فتحهُ بمفتاح كان في جيبهِ ودخلناهُ فاقفلهُ من الداخل ولبثنا في ظلمة حالكة . ثم اخذ شرلوك بيدي فقادني في دهليزٍ ثم في فسحة ثم في سلم انتهى بنا الى غرفةٍ فسيحة كان ينبعث اليها شيء قليل من انوار الشارع . وعلمت ان البيت مهجور لعدم وجود رياش او اثاث فيهِ ولتراكم الغبار على جدرانهِ التي كنت استند اليها . ووقف شرلوك في الردهة التي بلغناها ثم همس في اذني قائلاً اتعرف اين نحن الآن . قلت لا . قال نحن في بيت يشرف على محل سكناي من الجهة الثانية . واذا شئت ان ترى غرفتي

من هنا فاقترب من تلك النافذة باحتراس تام وتفرس فيما ترى وقل لي ألا يزال صديقك يعدُّ لك عجائب

فاقتربت من النافذة ونظرت الى الجهة التي اشار اليها وللحال اعترتني هزة واندفع من صدري صوت كحشرجة المحتضر فانني رأيت غرفة صديقي امامنا ونافذتهُ مفتوحة وكانت الغرفة منارة فظهر لي من النافذة رجل جالس على كرسي لم اشك في انهُ نفس شرلوك هولمز . فمددت يدي لأتحقق هل هو باقٍ بجانبي ام حُمل بروح خفية الى غرفتهِ فوقعت يدي عليهِ وشعرت باهتزاز جسمهِ من الضحك . وبينما انا في دهشة وحيرة عظيمتين قال لي كيف رأيت هذا الشبه . قلت لم اشك في انك انت هو فقل لي بربك من هذا وما هو المقصود من جلوسهِ هناك . قال الرأس الذي تراهُ ليس سوى مثال من الشمع عملهُ لي احد صناع التماثيل في ايطاليا واما بقية الجسم فمن صنعي انا وان هي الا اخشابٌ البستها ثيابي وقد فعلت ذلك بقصد ان يظن بعض الناس انني انا جالسٌ في غرفتي حقيقةً . ولا اكتمك ايها العزيز ان عدوي الوحيد الباقي من عصابة موريارتي قد علم بوجودي في لندن وهو يسعى في قتلي وقد تحققت انهُ سيبذل جهدهُ في اهلاكي الليلة فوضعت شبهي في غرفتي ليغتر بهِ فيهتم باغتيالهِ ونهتم نحن بالاطلاع عليهِ وامساكهِ . وبانت لي الخطة التي رسمها صديقي فعلمت انهُ وضع مثالهُ في النافذة شركاً لعدوهِ وانا نحن سنكون في الحقيقة الصيادين . ثم امسك شرلوك عن الكلام ورأيتهُ قد اصغى مليًّا وجعل يراقب الطريق باحتراس تام . واعدت نظري الى النافذة فوجدت المثال قد تحرك فزاد تعجبي ولحظ ذلك صديقي مني فتبسم وقال اراك تعجبت من حركة ذلك الشبح الذي لا روح فيهِ وهل تظنني ابقيه بدون حركة لكي يعلم اعدائي انهُ ليس اياي فقد اوصيت الخادمة ان تحركهُ من حين الى آخر بخيط خفيّ ينتهي الى الخارج بحيث يخيَّل لمن يراقبهُ عن بعد انهُ شخص حقيقي ذو نفس حية

وكان شرلوك يفهمني ذلك همساً وهو لا يحيد نظرهُ عن مراقبة الطريق الفاصل بيننا وبين نافذة غرفتهِ وقد اعار اذناً صاغية . فرأيتهُ قد توقف بغتة عن الكلام

وبدت عليهِ علامات الاضطراب ثم قادني بيدي الى منتهى الغرفة واشد اقسامها ظلمةً فوضع يدهُ على فمي علامة للصمت التام ولبثنا لا نكاد نسمح لآنافنا باخراج تنفسنا . ولما كنت اجهل ما نحن بصددهِ وضعت يدي على مسدسي وجعلت انتظر فقرع اذنيَّ صوت فتح باب واقفالهِ بسكون ثم لاح لي في تلك الظلمة على نور النافذة شبحٌ قد دخل بتمام الاحتراس وبعد ان وقف قليلاً دخل بجرأة واقدام مارًّا على بعد خطوتين منا مما اكد لي انهُ لم يشعر بوجودنا وبلغ النافذة فجثا امامها تاركاً وجههُ فقط مطلاًّ عليها. ووقع عليهِ النور من الخارج فتأملتهُ جليًّا فاذا هو كهلٌ ذو انفٍ دقيق اقنى وعينين يتطاير منهما الشرر وكان يحمل عصاً القاها الى الارض بجانبهِ فسمعت لهـا صكةً ظهر لي منها انها مصنوعة من بعض المعادن . ثم اخرج من جيبهِ شيئاً لم ارهُ ولكنهُ اخذ يعالجهُ ثم قطعهُ واخذ العصا فادخلهُ فيها وسمعت صوتاً آخر حقق لي ان ما ظننتهُ عصاً لم يكن الا بندقية . ثم رفعها الى كتفهِ واسند رأسهُ الى جانبها وتنفس طويلاً كمن بلغ اربهُ وتطاولتُ لارى غرضهُ فوجدتهُ قد صوب البندقية الى الشبح الموجود في نافذة شرلوك هولمز وهو يظنهُ اياهُ وللحال ضغط باصبعه على الزند فصدر صوت كحفيف الريح اشبه بالصفير وانطلقت الرصاصة الى النافذة فكسرت زجاجها واصابت مثال صديقي . وفي تلك اللحظة وثب شرلوك من مكمنهِ كالاسد المفترس فامسك بعنق ذلك القاتل والقاهُ الى الارض ولكنهُ ما عتم ان وقف واوشك ان يصرع شرلوك لو لم ابادره بضربتين على رأسهِ افقدتاهُ رشده فسقط ثانية . واقترب شرلوك من الباب فصفر صفيراً مخصوصاً وللحال فتح الباب وسمعنا وقع اقدام تقترب منا واذا اثنان من رجال الشحنة السريين ووراءهما واحد من رؤساء الشحنة اسمهُ لستراید . فلما قابلهُ شرلوك ترحب بهِ فقال الرئيس لما بلغتني تذكرتك ايها العزيز شرلوك لم اكد اصدق نظري في تلاوتها ووددت ان احقق بعثك بنفسي فجئت مع هذين الرجلين وعسى ان تكون قد احضرت لنا شيئاً جديداً من عالم الاموات . فقال شرلوك بُعثت ايها العزيز لاساعدكم في القآء القبض على هذا الرجل فانهُ اخبث اشرار البلاد واسمح لي

ان اعرفكم بهِ فهو الكولونيل موران من جيش جلالة الملكة سابقاً وافتك القتلة وامهرهم الآن . فلما سمعنا ذلك تراجعنا الى الورآء متعجبين لاننا كنا نعهد الكولونيل موران من جماعة الشرفآء وخطر لي للحال ان الكولونيل نفسهُ كان رفيق القتيل رونالد في اللعب . اما الكولونيل فلما سمع كلام شرلوك واشتمّ منهُ الهزء والسخرية اضطرب ووثب كالنمر الهائج قاصداً الفتك بشرلوك ولكنهُ لم يستطع التقدم لان رجال الشحنة كانوا قد اوثقوا ذراعيه بالحديد . واخذ شرلوك يتفقد البندقية التي كانت مع القاتل فبعد ان قلبها في يديهِ ضحك وقال انني من زمن طويل اشتاق الى فحص هذه الآلة الجهنمية فانها وحيدة في الدنيا وقد صنعها رجل الماني لموريارتي الشهير بموجب وصفهِ لهُ فهي آلة فتكٍ سرية ينطلق رصاصها بدون صوت وقلما يخطئ فريستهُ فدونكها يا لستراید وخذ رصاصتها فانها تلزمكم للمحاكمة . فقال لستراید اننا في غنى عن البراهين بعد ان شهدنا جميعنا محاولة هذا الخبيث قتلك مغترًّا بالصورة الوهمية التي وضعتها لهُ . فقال شرلوك اياك ايها العزيز ان تتهمه بذلك فاني لااريد ان تظهر ادنى علاقة لاسمي في هذا الامر بل ابقِ الفخر لك في امساك الكولونيل موران الذي قتل الشريف رونالد ادير في ليلة ٣٠ من الشهر الماضي . وبينما نحن نستغرب ذلك اسرَّ شرلوك بعض كلمات في اذني لستراید ثم اخذ بيدي وقال تعال معي الى غرفتي فقد صار يحق لنا ان نستريح قليلاً بعد اعمال اليوم . فتبعتهُ كما يتبع الولد مربيهُ الى ان بلغنا بيتهُ ودخلنا غرفتهُ فوجدتها كما فارقتها آخر مرة كنت معهُ منذ ثلاث سنوات ورأيت فيها خادمة شرلوك والمثال الذي شخَّص ذات شرلوك في تلك الحادثة ووجدنا ان الرصاصة التي اطلقت عليه قد اصابت الرأس من الورآء وخرجت من الجبهة المصنوعة من الشمع الى الحائط

ولما استقر بنا المقام صرف شرلوك الخادمة ثم اشعل لفافةً واخذ كتاباً من مكتبتهِ وقال قد جمعت في هذا الكتاب اسمآء وصفات جميع اصحاب الشبهات في انكلترا وسميته كتاب الشخصيات فخذ واقرأ ما كتبتهُ عن هذا الخبيث . فاخذت الكتاب ونظرت حيث ارشدني فوجدت اسم الكولونيل سبستيان موران وقد كتب

شرلوك امامهُ ما يأتي « هو ثاني شرير يخشى بأسهُ في هذه المملكة . خال من الخدمة الآن وكان من فرقة البنكالور سابقاً . ابن السير اوغسطس موران الذي كان سفير انكلترا في العجم . تعلم في مدارس ايتون واكسفرد . حضر عدة مواقع وابلى فيها البلآء الحسن . مؤلف عدة كتب وعضو في جملة من منتديات الشرفآء » . فقلت يا للعجب ان كل ذلك يدل على صفات حسنة وخلق حميد . فقال شراوك لا انكر ذلك وقد كان اول سير الكولونيل محموداً ولكنهُ ما عتم ان بلغ درجةً انحط فيها الى اعمال الشر بمهارة غريبة فترك الخدمة في بلاد الهند وجآء انكلترا فاستقبلهُ موريارتي وادخلهُ في عداد رجالهِ وعهد اليهِ في قضآء عدة امور اتمها بذكآء وحسن تدبير يعجز عنهُ امهر اللصوص والقتلة . وقد عرفت انهُ كانت لهُ اليد الطولى في عدة حوادث قتل وسلب عجز عنها رجال الشحنة ولكنني لم استطع اثبات امره لانهُ اخفى بمهارتهِ الغريبة كل ما يدل على اشتراكهِ في تلك الجرائم . وقد علمت من زمن طويل انهُ وموريارتي يقتنيان تلك البندقية الغريبة الصنع ولذلك كنت احترس دائماً من التعرض لمواقع رصاصها . ولما قتل موريارتي على شفير ذلك المنحدر في سويسرا واجتهدت انا في الهرب كان هذا اللعين بنفسهِ يرميني بالصخور ليتبعني باستاذهِ ولكن ابت التقادير الا ان تساعدني على الاقتصاص منهُ . ولما عدت الى فرنسا وعلمت انهُ لا يزال حيًّا لم اجسر على القدوم الى انكلترا لعلمي انهُ لا يتأخر عن قتلي ولم اكن استطيع قتلهُ لئلا أُعدَّ قاتلاً ولا ينفعني ان اشكوهُ الى الحكومة لانها لا تقتصّ منهُ لمجرد وهمي وظني بدون تقديم البينات . فجعلت اراقب الجرائد وانا موقنٌ انهُ لا بد ان تحدثهُ نفسهُ بارتكاب جريمة واذ ذاك تسنح لي الفرصة التي ابتغيها . وما صدقت ان قرأت في الجرائد عن مقتل رونالد ادير وقد تحقق عندي ان قاتلهُ هو نفس موران لانهُ كان يلعب معهُ دائماً في المنتديات ولانهُ رافقهُ ليلة القتل الى بيتهِ . فجئت اذا ذاك الى لندن تحت ستار التخفي ولكنني لم انتبه تمام الانتباه لان جاسوساً من قبل موران علم بقدومي فاخبرهُ بهِ وتحققت اذ ذاك ان موران سيهتم جدًّا بمجيئي بعد ارتكابهِ تلك الجريمة وانهُ

لا يتأخر عن قتلي في اول فرصة . فاخترعت لهُ الشبح الذي وضعتهُ في نافذتي واتقنت صنعهُ وحركتهُ كما رأيت فجازت حيلتي هذه على موران وصدق ظني وجآء كما رأيت الليلة ليقتلني فكان جزآؤهُ ان القي عليهِ القبض وانتهى امرهُ . فهل ادركت سري ايها العزيز وطسن وهل بقي شيء غير واضح من حديثي . قلت لم توضح لي السبب الذي دفع موران الى قتل ذلك المسكين وهو رفيقهُ في اللعب كما ظهر . فقال آه ايها العزيز وطسن ان آفة الانسان ظنهُ والعالم باسرهِ يلهو بالظن عن الحقيقة وقد ظن الجميع مثلك ان موران رفيق رونالد فلا يمكن ان يكون قاتلهُ . اما الحقيقة فهي ان ذلك المسكين لم يكن يعلم شيئاً عن موران الا ما ظهر للجميع من صفاتهِ الخارجية . وكان موران يشاركهُ في اللعب معتمداً على تقودهِ . وكان خائناً في لعبهِ غشاشاً ولم يفطن لهُ احد وقد ربح في ذات ليلةٍ مع القتيل مبلغاً عظيماً كما ظهر في تقرير المحكمة . وحدث في ليلة القتل ان رونالد المسكين لاحظ ما يأتيهِ موران من الغش في اللعب فكلمهُ سرًّا والحّ عليهِ بوجوب ردّ الاموال المأخوذة بتلك الطريقة الى اصحابها وان ينقطع موران عن تلك المنتديات والا كشف امرهُ للجميع . فلم يهن على موران ان يفضح امرهُ فتى مثل رونالد ولم يشأ ان ينقطع عن اللعب فيخسر الاموال التي يعيش من كسبها بالغش والاحتيال فرأى ان اسهل واسطة للتخلص من ذلك ان يسكت رونالد الى الابد فتبعهُ الى جهة البيت . ولما دخل رونالد غرفتهُ اخذ المبلغ وجعل يقسمهُ ليرجعهُ الى اصحابهِ واقفل بابهُ من الداخل لئلا تفاجئهُ والدتهُ وتسألهُ عما يفعل . واغتنم موران اللعين فرصتهُ فارسل الى رأس الفتى تلك الرصاصة القاضية كما كان يود ان يرسلها الى رأسي . اما الآن فقد امنَّا الخطر فان بقية جند الشر قد اصبح في يد العدالة وهيهات ان ينجو منها والبندقية التي كنا نخاف شرها في حرزٍ حريز في دار الشحنة ولم يعد من مانع يمنع ظهور شرلوك هولمز بعد الآن ولا ما يقف دون تداخلهِ كالسابق في غوامض الامور وكشف المخبآت